بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حواريـــــــــــــة الكفـــــــــــــــر والإيمـــــــــــــــان

المحاور : لقد قطعت هذا الطريق الطويل إليك لأجل أن أحاورك بالأمر الذي لا زالت الأمة مختلفةٌ فيه ألا وهو موضوع الإمامة . فقد أُخبرت أن لك فيها آراءً غريبةً لها أدلةٌ دامغةٌ وإن كنت أحتمل أن ذلك من المبالغات .

المؤلف : أشكرك على ما تخبرني به عن حقيقة ما شعرت به .

المحاور : إذن فاخبرني عن تلك الأدلة التي تثبت أن الإمامة لا تكون إلاّ بالتعيين وعلى فرد مخصوص من قبل الله تعالى ورسوله الأمين ولا يجوز أن تكون باختيار المؤمنين إن كنت تعتقد بصحة التعيين .

المؤلف : نعم إني أعتقد صحة التعيين وأرى أن اختيار الناس لخليفة النبي هو أمرٌ باطلٌ ؟ .

المحاور : فاذكر لي الأدلة إذن .

المؤلف : ولِمَ العجلة ؟ ألا تريد التعرّف على من تحاوره ؟ .

المحاور : لا يهمني الذي أحاوره ، بل يهمني ما يقوله لأني تعبت من اختلاف الأقوال وتشعّب الأحاديث وتباعد الآراء . فإن كان في القول خيرٌ أخذت به وإن كان كسلفه من الأقوال تركته .

المؤلف : إن الاهتداء إلى الحق والحقيقة في أيّ شأن هو بيد الله تعالى ، فإذا شاء أن يهدي أحداً إلى الحق هداه ولو كان وحيداً على (جبلٍ) لا يحاور أحداً ما .

المحاور : هذا صحيحٌ .. ولا أدري لماذا تقول ذلك ، تواضعاً معي أم تهكّماً عليّ ؟

المؤلف : تواضعاً وتذكيراً بأن تطلب الهدى من الله تعالى لأنه بيده لا بيد أحدٍ من خلقه .

المحاور : هذا الكلام ليس دقيقاً .. لأن النبي يهدي ! .

المؤلف : بالمعنى الذي نحن فيه ، النبيّ لا يهدي . قال تعالى : (إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى) ، وقال : (ليس عليك هداهم) وقال : (إنك لا تهدي من أحببت) . فالذي يقرّر سلوك طريقٍ ما هو العبد ثمّ يأتي الدليل ليوصله إلى الهدف ، لذلك اقترنت هداية النبي (ص) في القرآن بالطريق وهو الصراط أيضاً (وإنّك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم).

المحاور : لكنك تتحدّث وكأنك على يقين من أنّك مهتد ! .

المؤلف : المهتدي يعلم أنه مهتدي وغير المهتدي لا يعلم إن كان مهتدياً أم لا ، وأسمائهما تحتّم ذلك .

المحاور : تخريجٌ حسنٌ ، فلنفرض أني لا زلت أتخبّط فما هي أدلّتك على موضوعنا ؟.

المؤلف : الأدلّة كثيرةٌ لا أظنّها فاتتك ، ولكلّ قارئ طريقٌ في القراءة ولكلّ سامعٍ طريقٌ في فهم ما يسمع ! .

المحاور : تريد أن تقول أن ما يذكر من أدلّةٍ عقليةٍ ونقليةٍ كافيةٌ ولكني فهمتها بصورةٍ خاطئةٍ أو سيئة ؟ .

المؤلف : ربّما ! .

المحاور : هنا أخطأتَ ، فالمنقول من آياتٍ وأحاديثٍ هناك ما يعارضها ، والمنقول من مناقبٍ لصاحب الوصية هناك مناقب مثلها لغيره والكلام يطول والجدال ما يزال ولن يزول .

المؤلف : هذا طبيعي !! لأن الحق والباطل في صراعٍ ، فللحقِّ دلائله وللباطل مكائده ، وواجب العاقل هو الفرز بين الدلائل والمكائد ، فإذا حسبها جميعاً دلائل ضيّع الحق في الباطل ، وإذا حسبها جميعاً مكائد ركب الباطل ولم يجد الحق .

المحاور : أتقول أن هناك دلائلَ اختلطت مع مكائد وإن هناك مناقباً **هي في حقيقتها مثالب وأني لا أحسن الفرز ؟! .**

المؤلف **: ربّما ! لأن هذا جزءٌ من طبيعة أي صراع .. فالقائل أن ما وصلنا هو كلّه حقّ فهو أحمق .**

المحاور **: حسناً .. أريد أن آتي معك . ذلك لأنه إذا كان مثلي وينخدع فتلك إذن مؤامرة هي أكبر ممّا نتصوّر ولا تحسب أني لا أفكّر بهذا الاحتمال ، وحينما أتخيل فريقين بالفعل فإن عقلي لا يدلّني على ذلك الحقّ ولا يوضّح لي الباطل .. لأن الآيات والدلائل والأحاديث في الجميع ورواتها من الجميع .**

المؤلف **: أنت تراها قد اختلطت ، أما الحقّ والباطل فلا يختلطان في الخارج أبداً ، فليست العلّة في تلك النصوص وإنما هي في القلب الذي يجعلها تختلط على العقل . ولو اختلط الحق والباطل في الخارج لما كان لله تعالى حجّةً على الخلق ولبطل العقاب والثواب .**

المحاور **: كأنك لا زلت تتهمني ! .**

المؤلف **: أعترف بأني لا زلت أتهمك .. لأن هناك أمرٌ لا بدّ أن تتفق معي بشأنه لأنه قانونٌ إلهيٌّ هو : أن الله تعالى لا بدّ أن يهدي من أناب إليه ..**

المحاور **: وما أدراك أني غير مهتد ؟**

المؤلف **: إذا كنت مهتدياً فأنت تعلم أنّك مهتد .**

المحاور **: لعلك تظنّ أني جئتك لتهديني ! أنا ما قلت ذلك وأعرف نفسي أني بحمد الله مؤمنٌ بالله ورسوله وكتابه إيماناً راسخاً .**

المؤلف **: وما علاقة الإيمان بالهدى ؟ فقد يكون المرء مؤمناً وليس مهتدياً في آنٍ واحدٍ لقوله تعالى : (وإني لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى) .**

المحاور **: حسناً .. لأكن ضالاً أو كافراً فهل لك أن تأتيني بجديدٍ تناقشني فيه فإن القرآن قد ناقش الكفّار وحاورهم .**

المؤلف **: استغفر الله .. استغفر الله .. فلو ظننت أنك من الكفار لما حاورتك فإن القرآن لم يناقشهم قط .**

المحاور **: فما تلك المناقشات القرآنية وضرب الأمثال ولمن كانت إذن؟**

المؤلف **: إن الله تعالى يقول : (إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) . فلا فائدة من التحاور معهم . والقرآن هدىً للذين آمنوا وعملوا الصالحات (وإذا ما أنزلت سورةٌ فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً . فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجسٌ إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) .**

المحاور **: هذا صحيح ولكنك لم تجبني عمّن حاوره القرآن وضرب له الأمثال ؟**

المؤلف **: هؤلاء جماعات من المشركين لا الكفار .**

المحاور **: لم أكن أفرّق بين المشركين والكفّار . أفأنت ترى فرقاً ؟**

المؤلف **: نعم .. كل كافر فهو مشرك بالله وليس كل مشرك بطاعة الله مشركٌ بالله أو كافرٌ . فالمشرك بطاعة الله هو كعابد الأصنام فهو يعبد الله من خلال عبادة الأصنام ظناً منه أن في ذلك طاعةً لله فإذا بلّغه النذير (ص) فربّما آمن وإذا أصرّ فقد كفر فهؤلاء الضالون الحيارى هم الذين يناقشهم القرآن ويضرب لهم الأمثال .**

المحاور **: ألأجل ذلك لم تعلن البراءة من المشركين إلاّ في أواخر دعوة النبي (ص) وبعد فتح مكة ؟ .**

المؤلف **: نعم وأحسنت .. لأن الحجج قد قامت والبراهين اكتملت (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا شاهدين على أنفسهم بالكفر) .**

المحاور **: لقد عرفتُ المشرك فمن هو الكافر ؟ أهو الذي ينكر وجود الله تعالى ؟**

المؤلف **: لا أحد ينكر وجود الله على وجه الحقيقة والصدق مع نفسه والذين ادّعوا ذلك كاذبون .**

المحاور **: كيف ؟! أليس الذي ينكر وجود الله قد شعر حقاً بعدم وجوده ؟ .**

المؤلف : كلاّ .. أنّه كذّاب .. إنّه يحاول نقل الحوار من الشركاء إلى الإله الواحد نفسه أي أنه يهاجم الواحد ليتخلّص من التوحيد مدّعياً الشكّ في الواحد .

المحاور : إني أسمع الآن بمفهومٍ جديدٍ للكفر . فهل ما إن عمله الفلاسفة من الردود على الملاحدة كان عبثاً ؟ .

المؤلف : ربّما نفع في تثبيت إيمان مؤمن وتمكينه من سلاحٍ بوجه الكافر .. لكنه لم ينفع كافراً وما غيّر من الأمر شيئاً . لأن هذا النقاش لم يكن له موضوعٌ من الأصل وموضوعه الصحيح هو الشركاء .

المحاور : ولكن الآيات القرآنية سردت الأدلة على وجود الله .

المؤلف : العبارة تكون صحيحةً لو قلت : (سردت الأدلة على وحدانية الله) لأن الله تعالى نفسه ليس فيه شكّ (قالت لهم رسلهم أفي الله شكٌّ فاطر السموات والأرض) .

المحاور : لنفرض أني قلت هذه الآية نفسها للدلالة على وجود الله . فماذا تقول ؟ .

المؤلف : هذه الآية ليست للدلالة على وجود الله ، بل للدلالة على أن هذا الوجود (ليس فيه شك) وبالتالي لا وجود لمنكرٍ لحقيقة وجود الله . فكلُّ منكرٍ لوجود الله كذّاب .

المحاور : هل تعرف أحداً كافراً ومع ذلك يؤمن بوجود الله ؟

المؤلف : سبحان الله .. كلانا يعرف أحداً على هذا النحو !! .

المحاور : من هو ؟ .

المؤلف : هو رجلٌ من الجِنّة .. شيخ الكفّار وأولهم كان يخاطب الله تعالى قائلاً (فبعزّتك لأغوينهم أجمعين) وقد كان كافراً لقوله تعالى : (إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) .

المحاور : أعتذر ! فلنعد إلى الآية وسأوجّه الكلام بطريق آخر : قوله تعالى (أفي الله شك) ألا يدلّ على وجود من يشكّ في الله ؟.

المؤلف : الآية لا تتحدّث عن (من يشكّ) لتقول ذلك . إنها تتحدّث عن الشك نفسه والاستفهام الإنكاري يدلّ على (انعدام) الشك وبالتالي لا وجود لحامل ذلك الشكّ . إنّما يقع الشك والتلبيس بوجود شركاء وحسب ، فهي في معرض نفي الشركاء بطريق وجود الله باعتبار هذا الوجود ليس فيه شكّ مطلقاً لأنه العلّة الأولى للخلق (فاطر السموات والأرض) وكلّ شريك واقع حتماً ضمن السموات والأرض فهو مخلوق ، فيتمّ البرهان على عدم وجود شريك بإعلان كونه نفسه ليس مشكوكاً فيه . ولما كان هو فاطرها أي مبتدعها فهو إذن واحد لا شريك له . وحتى لو كانت

تتحدّث عن الشاك لا الشك فهي في معرض النفي لهذا الشاك ، لأن موضوعها هو التوحيد (نفي الشركاء) لا إثبات وجود الواحد ، وهذا ما فهمه أيضاً جميع أمم العالم عندما قيلت لهم تلك العبارة كما يتّضح من نص تمام الآية (قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمىً قالوا إن أنتم إلاّ بشرٌ مثلنا تريدونا أن تصدّونا عمّا كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطانٍ مبين) . فلم يكن لهم شك في الله ، بل شكٌّ في دعوة الرسل . وهذا ما قالوه قبل هذه الآية بالآية السابقة بلا فصل (قالوا أنا كفرنا بما أرسلتم به وإنّا لفي شكٍّ مما تدعوننا إليه مريب) . فلأجل إزالة الشك في كونه إله واحدٌ قالت لهم رسلهم : أفي الله شك فاطر السموات والأرض ؟ والجواب : لا شك فيه . ولو كان الشك فيه فلا حوار ولا مناقشة . فلمّا جاءتهم رسلهم بهذا البرهان قالوا : تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبد آباؤنا ، فطلبوا الدليل وقالوا : فأتونا بسلطانٍ مبين . دليل مادي ومثلٍ واضحٍ غير هذا الدليل العقلي . فقالت لهم رسلهم بالآية اللاحقة : (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطانٍ إلاّ بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) . فمن آمن ابتداءً على هذا الدليل العقلي فليتوكل على الله فإنه يهديه بصورةٍ أو بأخرى . ولو كان الشك في الله فلا حوار ولا تعقيب كهذا التعقيب .

المحاور : **هل تعتبر هذه المناقشة الجانبية خارج موضوعنا ؟**

المؤلف : **كلاّ .. إنها من صميم موضوعنا ويستحيل استمرار الحوار في حالة الاختلاف بالمفهوم الذهني لمفردات هامة وجوهرية في العقيدة كالكفر والإيمان ، بل كلّ بحث مهما كان بعيداً فهو موضوعنا لأن الحقائق الكونية والشرعية مترابطةٌ ومتكاملة .**

المحاور : **هذا حسن .. وقد بدأت أميل إلى هذا المفهوم عن الشرك والإلحاد ولكنك لم تخبرني للآن عن الكافر من هو ؟**

المؤلف : **إن الكافر هو الذي يعصي الله عزّ وجل عامداً راغباً في معصية الله .**

المحاور : **سبحان الله وأعوذ بالله .. لم يبق أحدٌ إذن على الإيمان فكلّنا نعصي الله وطالما نعصي الله ونعلم أنها معصية وطالما نرغب في ذلك .**

المؤلف : **إن المؤمن يعصي والكافر يعصي . لكن الفرق بينهما كبيرٌ هو الفرق بين أصحاب الجنة وأصحاب النار . المؤمن يعصي ويتوب والكافر لا يتوب ، المؤمن يستغفر والكافر لا**

يستغفر ، والمؤمن يندم والكافر لا يندم . وقد قال الرسول (ص) : (كفى بالندم توبةً) وقال تعالى (إن الله يحبّ التوابين) . فالنادم تائب والتائب محبوبٌ عند الله . والمؤمن يؤوب إلى الله تعالى . فالمعصية عند المؤمن وسيلةٌ إلى هدفٌ دنيويٌّ عارضٌ يفعلها حينما يفعلها لا رغبةً فيها نفسها ، بل للهدف الذي تحققه المعصية حينما سدّت أمامه طرق الطاعة للوصول إليه . والكافر يفعل المعصية رغبةً فيها نفسها فالمعصية هدفه لا وسيلته لأنه يفعلها تحدّياً لله وهو يفعل المعصية حتى لو لم تحقّق له غرضاً دنيوياً ، بل يفعلها ولو حقّقت له خسارة دنيوية لأن غرضه وهدفه المعصية نفسها لا شيء آخر سواها ، وهدفه أيضاً هو طاعةً الشركاء وهو نفسه من الشركاء .

المحاور **: هل يفهم من ذلك أن الأمر ـ أمر الإيمان والكفر ـ مرتبطٌ كلّه بالنية ؟.**

المؤلف **: تماماً وقد قال رسول الله (ص) كلمةً من جوامع كلِمِهِ وهي من مشهور كلامه : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) . لذلك لا يصحّ الاستنتاج الذي ذكرته بقولك : (كلنا نعصي الله ونعلم أنها معصية) ، لأن التعريف لم يتضمن العلم ، بل (العمد) لأن حدَّ تمام المعصية للكافر هو أمران يثبتان العمد أحدهما : العلم أنها معصية والثاني : توجّه الفعل إلى المعصية نفسها . فالعلم وحده لا يكفي لإثبات العمد .**

المحاور **: كيف ؟ ! .**

المؤلف **: لو أمرتني ألاّ أسافر فإني أعلم أن سفري فيه معصيةٌ لأمرك ولكني لو سافرت لتحقيق هدفٍ ما يخصني فلن يكفي ذلك لتعلن أني تعمّدت عصيانك . لكن لو لم يكن لي أي هدف من السفر سوى الرغبة في عصيانك فذلك هو العمد وذلك هو الاستكبار على أمرك . وإذن فقولك : (وطالما نرغب في ذلك) .. بماذا نرغب ؟ في المعصية نفسها أم بالهدف ؟ .. المؤمن يخطئ ويريد الوصول إلى هدف عرضي من خلال المعصية لذلك يستحق أن يغفر الله تعالى له إذا رجع وآب وأناب واستغفر ، لأنه يشعر بالتقصير والذنب قبل المعصية وخلالها وبعدها . أما الكافر فيرغب في المعصية نفسها (فلم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا)**

المحاور **: الحمد لله على منّة المغفرة .. فاخبرني ألِهذا السبب والفصل الشديد بين الفريقين من حيث النية صار ممكناً أن يغفر الله تعالى الذنوب جميعاً ؟**

المؤلف **: نعم .. فهذه العبارة خوطب بها العباد لا العبيد وهي قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) .**

المحاور **: رأيتك الآن تفرّق بين العباد والعبيد .. أهذا شيءٌ ممّا أسميته بـ (المنهج اللفظي) الذي أرجو أن تسوق لي أمثلةً منه تأتي عفواً خلال الحوار .**

المؤلف **: نعم .. إذا شاء الله تعالى .**

المحاور **: فأوضح لي يرحمك الله مسألة العباد والعبيد ما دمت قد ذكرتها ! .**

المؤلف **: العباد كما لو كانوا جمع (عبد) هم المتبعون طوعاً ، والعبيد هم الذين في قبضته تعالى كرهاً . فيفهم من الاستخدام القرآني أن العباد مؤمنون والعبيد كفرة .**

المحاور **: هذا جميل جداً .. وإذا كانت التطبيقات والشواهد تؤيده ، إذن فسيتغيّر حتماً مجرى تفسير كل الآيات التي وردت فيها هاتان المفردتان عند تحديد معانيهما واستخدامهما القرآني بهذه الدّقة .**

المؤلف **: أنت تفهمني فهماً صحيحاً أسأل الله تعالى أن يوفّقك ! . أما الشواهد والتطبيقات فإنها تؤيد ذلك كما سنرى بإذن الله .**

(بحث بالمنهج اللفظي لمعرفة الفرق بين العباد والعبيد)

يدل الاستخدام القرآني للفظ (عباد) أنهم جماعة المؤمنين كما في الآيات الكريمة التالية :

١. إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده .. (الأعراف ٢٨)

٢. جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب . . (مريم ٦١)

والكفار ليس لهم وعدٌ كهذا .

٣. يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده . (غافر ١٥)

٤. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان . (الحجر ٤٢)

٥. وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشّر عباد . (الزمر ١٧)

٦. يا عبادِ لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . (الزخرف ٦٨)

٧. إلاّ عباد الله المخلصين / لكنّا عباد الله المخلصين . (الصافات ٣٩ ، ٧٣) أربعة موارد .

٨. أن أدّوا إلي عباد الله . (الدخان ١٨)

٩. إنه من عبادنا المؤمنين . أربعة موارد أخرى في الصافات عند ذكر الأنبياء .

١٠. فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا (الكهف ٦٥)

١١. وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن (الإسراء ٥٢)

١٢. وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنّكم متّبعون (الشعراء ٥٢)

١٣. يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربّك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي (الفجر ٢٩)

هذه الموارد التسعة عشر هي نماذج من الموارد الكلية البالغ عدده ٩٦ مورداً للفظ (عباد) . أما لفظ (عبيد) فقد ورد خمس مرات فقط كلّها في الكفار وهذه هي الموارد :

١. قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدّل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد . (ق ٢٨ ، ٢٩)

٢. ذلك بما قدّمت أيديكم وإن الله ليس بظلاّم للعبيد (آل عمران ١٨٢)

٣. ذلك بما قدّمت أيديكم وإن الله ليس بظلاّم للعبيد (آل عمران ١٨٢)

٤. ومن أساء فعليها وما ربّك بظلامٍ للعبيد (فصلت ٤٦)

٥. ذلك بما قدّمت يداك وإن الله ليس بظلاّم للعبيد . (الحج ١٠)

فقد ارتبطت الآيات الآنفة زمنياً بوقت التعذيب من خلال المقدمات السابقة عليها والتقريع الظاهر في عبارات (ذلك بما قدّمت أيديكم) أو (يداك) .

المحاور : هذا شيء جميل حقاًَ ، لكن ألا يمكن أن يقال أن ذلك بسبب إضافة اللفظ إلى الله تعالى في الآيات إذ هو (عبادي) أو (عباد الله) أو (عبادنا) وموارد العبيد جاءت بغير إضافة ، فلذلك كان هذا الفارق ؟ .

المؤلف : يجب ملاحظة كلّ شيء في اللفظ القرآني إذا أريد الدقّة . وهذا هو الحال بشكلٍ عامٍ .. لكن الفرق بشأن هذين اللفظين لا يكمن هنا ، لأنه كان من الممكن أن يقول في آيات ذكر العذاب (وما أنا بظلاّم للعباد) وهكذا جميع الموارد الخمسة ، لكنه قال في جميعها (العبيد) ممّا يدلّ على أنهم فئة مختلفة عن العباد .

المحاور : لماذا لا تذكر موارد (العباد) من غير إضافة إليه تعالى لتكون النتائج بدقّة لا يمكن خرقها أبداً أو الاعتراض عليها ؟

المؤلف : **هذا ممكن ولكن ستحتاج كلّ آية إلى إيضاحٍ جديد وتشترك ألفاظ أخرى وسوف تظهر من ذلك أسرار وتتغير مفاهيم وتسقط أوثان .. بل المناقشة في نفس المضاف موجودة لكنك لم تنتبه لها .**

المحاور : **كيف ؟**

المؤلف : **مثلاً قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً وقليلٌ من عبادي الشكور) فقد يقال هذا مورد ذم للعباد كمجموع ، لأن القليل منهم الشكور . وإذن فالتحديد (بأنهم هم المؤمنون فقط) غير صحيح ، بل العباد هم مجموع الناس كما عليه إجماع المفسرين !.**

المحاور : **جميلٌ أن تعترض على نتائجك .. فماذا يكون الجواب ؟ .**

المؤلف : **الجواب أن الشكر مرتبةٌ إيمانيةٌ عاليةٌ جداً لا ينالها إلاّ الأولياء من (العباد) المؤمنين . فقال تعالى لهم بما معناه (أعملوا آل داود شكراً فقليلٌ من عبادي المؤمنين يقدر على أن يكون شكوراً) . ولا يأمرهم بما لا يطاق وإنما أراد أن يوصلهم إلى هذه المرتبة لعلمه تعالى أنهم قادرون عليها .**

المحاور : **ما هو الدليل على أن الشكر هو مرتبة إيمانية عالية ؟ .**

المؤلف : **قوله تعالى عن نوح : (إنه كان عبداً شكورا) ، فحينما جاء بلفظ (العبد) مفرداً لوصف رجلٍ واحدٍ ، فقد كان يمكن أن يقع الشكر على العبد كرهاً أو على العبد طوعاً سواء بسواء لو كان لفظ العبد يشمل كل الناس ، ولمّا وصف به (نوح) الذي هو من الأولياء الطائعين فقد دلّ ذلك على أن هذا العبد (نوح) واقع في قمة مرتبة العباد الطائعين فصحّ أن يقال عنه أنه (كان عبداً شكورا) . وتلك المرتبة تقابلها من الجانب الآخرين قمة مرتبة العبيد الكافرين . وهذا يدلّ أيضاً على أنها مرتبة عالية جداً لاستحالة أن يغمطه الله تعالى حقّه (ع) أو يقلل من شأنه أو يضعه في مصاف من هم دونه من المؤمنين وهو يصفه هذا الوصف المقتضب فيما لوفهم هذا الوصف تبعاً لمفاهيم التبادر المصطلح عليه بين المفسّرين . فاللفظ (شكور) لم يدخله في جماعة المؤمنين وحسب ، بل جعله فيه (أي نوح) من الخواص . ومن الواضح أن القليل من عباده تعالى المؤمنين هم بدرجة الخواص . فقوله تعالى : (وقليلٌ من عبادي الشكور) يعني قليلٌ من المؤمنين شكورٌ . فيطابق ذلك ما ذكرناه عن معنى العباد .**

المحاور : **هناك آيةٌ كريمةٌ تدعوني للجزم بصحة ما تقوله وهي قوله تعالى لإبليس : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ) . فهذه الحقيقة تستلزم أن تكون مطردة فأينما وردت اللفظة (عبادي) فإنها تعني أولئك الذين ليس للشيطان عليهم من سلطان فهم المؤمنون حقاً .**

المؤلف : **أحسنت .. لقد صار الآن لديك قانونٌ صارمٌ لا مجرد فكرة أو تأويل يأتي بعد ذلك غيرك فيرفضه ، أو يأتي آخر فيأتي بما يناقضه . قانونٌ تتحرك بمقتضاه في كلّ القرآن ، فأينما جاء لفظ (عبادي) كان المقصود به المؤمنين دون الكافرين .**

المحاور : **أود أن أسأل الآن .. أين موقع المشركين بين هذين اللفظين ؟**

المؤلف : **إن كنت تقصد المشركين غير الكفّار فهم جزءٌ من العباد بغير أيّة إضافةٍ أو وصف .**

المحاور : **هذا تحديد جديدٌ وغريبٌ . ألم نتّفق أن العباد مؤمنون ؟ .**

المؤلف : **لقد اتفقنا قبل ذلك أن الجميع يؤمن بالله إن كان المقصود الاعتقاد بوجوده تعالى ، واتفقنا أيضاً أن الكافر يقصد المعصية عناداً لله واستكباراً وعلواً وكان المثل في ذلك إبليس .**

المحاور : **لكن الآن اختلطت الأمور . صار المشرك والمؤمن في خانة واحدة في لفظ (العباد) والأولى أن يكون المشرك في خانة الكفار (العبيد) .**

المؤلف : **لماذا تظلمه ؟ . إن المشرك الذي لم يصل إلى الكفر ضالٌ ومحتارٌ ومضيع للطريق بغير ما عناد لله تعالى ولا استكبارٍ عليه ، بل أراد عبادة الله تعالى فعلاً فعبد معه غيره ظناً منه أنه بذلك يعبد الله ، فلا يكون في خانة الكافر . فالفرق بينهما كالفرق بين صنفين وصفهما الإمام عليٌّ (ع) بقوله : (ليس من طلب الحق فأخطئه كمن طلب الباطل فأدركه) .**

المحاور : **ما هي نسبة (المشركين) إلى (المؤمنين حقاً) المجموعين في لفظ (العباد) ؟**

المؤلف : **المشركون أكثريةٌ .**

المحاور : **هذا عجيب !! ما هو الدليل ؟ .**

المؤلف : **قوله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون) .**

المحاور : **لقد ذكرت أن المشرك ضالٌ ، فهل معنى التشابك بين الألفاظ أن المؤمن قد يكون ضالاً كذلك ؟ .**

المؤلف : **نعم .. إن الضلال عكس الهدى . والمؤمن إمّا ضالٌ وإمّا مهتدي . والمشرك ضالٌّ دوماً . النقيض الذي لا يجتمع مع الإيمان هو الكفر . أما الضلال فيجتمع .**

المحاور : **فالكافر ؟ .**

المؤلف : **هو ضالٌّ ضلالاً عمدياً فهو ظالم .**

المحاور : **هل يوجد في كتاب الله ما يدلّ على فارق بين الإيمان والهدى ؟ وأن الهدى شيء آخر غير الإيمان ؟**

المؤلف : **إن لهذه الألفاظ والصفات مراتب وحدود بعدد المخلوقين فنحن نفتّش عن الحدود بين تلك الصفات لا المراتب ولا النقاط المتداخلة لأنها جميعاً تظهر عند تحديد الحدود . نعم هناك قوله تعالى : (وإني لغفّار لمن آمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى) . فهناك من تاب وآمن وعمل صالحاً ولم يهتد فهو مؤمن ضال .**

المحاور : **ألا تشمل المغفرة هذا المؤمن ؟**

المؤلف : **إذا دخل الضلال حدود الشرك حوسب على ذلك المقدار من الشرك لقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر دون ذلك لمن يشاء).**

المحاور : **الله أكبر . أتعني بقولك (حوسب على الشرك بذلك المقدار) أنه يحاسب على الشرك نفسه . فلا مغفرة فيه . وأن غيره يغفر وليس معنى الآية أنه لا يغفر له أبداً ويدخل جهنّم حتماً .**

المؤلف : **نعم .. إن الآية أوضح من كلامنا بكثير ، فهو يقول : (لا يغفر أن يُشرك به) ولا يقول : (لا يغفر لمن أشرك به) ، لأن لمن أشرك معاصي دون الشرك فإذا شاء غفرها .**

المحاور : **والله ما فهمت هذه الآية بدقة إلاّ الآن . وقولك الأخير هل يعني أنه تعالى يغفر ما دون ذلك حتى لو كان للشخص نفسه لأن بعض عمله شرك وبعضه دون الشرك ؟ .**

المؤلف : **بل ذلك ما تعنيه بالضبط تلك التركيبة من الألفاظ لاتصالها بقوله : (لمن يشاء) . وإذا حدّد الأمر بهذه الدقّة للواحد عرفت كيفية محاسبة الجميع وفهمت حدود المغفرة .**

المحاور : **ألهذا السبب وردت صيغة المبالغة (غفّارٌ) مع المهتدي ؟ .**

المؤلف : **طبعاً لا يساوي بين من آمن وعمل صالحاً وبين من آمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى . فهو للأخير غفّارٌ وليس (غافراً) لأنه قد رضي عنه دينه لكونه مؤمن مهتدي .**

المحاور : **إن قوم نوح كفرةٌ فكيف جاء بهذه الصيغة نفسها في خطابه معهم (استغفروا ربّكم إنّه كان غفّارا) ؟**

المؤلف : ليس مثلك من يعترض على ذلك . لأن هذا خطاب نبيٍّ لقومه عموماً معلناً فيه عن حقيقة صفةٍ من صفاته تعالى ، فيأتي بحدّها الأقصى لا الأدنى مع الأمر (استغفروا) ولا يستغفر إلاّ المؤمن الخائف المسلِّم أمره إلى الله وهذا لا بدّ أن يهتدي ، فكان غفّاراً مع من سمع نداء نوح (ع) منهم وهم القلّة الذين ركبوا معه الفلك .

المحاور **: لقد فهمت ذلك . فأوضح لي لماذا لا يغفر الله تعالى الشرك مع أنك ذكرت أنه ليس عناداً لله كالكفر ؟ .**

المؤلف **: لأن الشرك بخلاف العقل . فمن أشرك كان كمن أخرج نفسه من حدود العقل فلا يغفر له ذلك الأمر الذي أشرك فيه ، لأنه لم يستعمل فيه عقله الذي وهبه الله تعالى له فيكون مسؤولاً لذلك السبب .**

المحاور **: أوَليس الكفر بخلاف العقل فيكون في هذا الأمر سواءاً كالشرك ؟**

المؤلف **: كلاّ .. إن علّة الكفر في القلب . فالكافر قد يعقل الأمر لكنه يكفر .**

المحاور **: ما هو الدليل على ذلك ؟**

المؤلف **: الدليل : إن الله تعالى إذا ذكر الشرك حاور المشركين وخاطب العقل . وإذا ذكر الكفر ذكر معه القلب ومرض القلب ولم يحاورهم ولم يذكر لهم مثلاً ، بل الوعيد بالعذاب وحسب .**

المحاور **: ألِهذا السبب ربّما يؤمن المشرك إذا (تعقّل) الأمر الذي أشرك فيه ولا يمكن أن يؤمن الكافر لأن الكفر قد دخل قلبه فلا علاج له ؟**

المؤلف **: نعم .**

المحاور **: قد ذكرت لي آيةً تدلّ على أن الكافر لا يؤمن . فهل هناك آيةٌ تدلّ دلالةً واضحةً على أن المشرك قد يؤمن ويترك الشرك ؟ .**

المؤلف **: إيمان بعض المشركين على عهد الرسول (ص) دليلٌ على ذلك . وأما الآية فقوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثمّ أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون) . فإسماعه كلام الله لاحتمال أن يؤمن .**

المحاور **: لو ذكرت بعض تلك الآيات التي كشفت فيها قاعدة استخدام العقل مع الشرك والقلب مع الكفر لتطمئنّ نفسي بصحة ما تقول .**

المؤلف : نعم أذكر لك بعض تلك الآيات . فمع الكفر استخدم القلب كما في قوله تعالى : (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) ، وقوله تعالى : (قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) وقوله تعالى : (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) ، وقوله تعالى : (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) ، وقوله تعالى : (إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم ..) ، وقوله تعالى : (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ومن أظلم ممن ذكّر بآيات ربه فأعرض عنها ، أنا جعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه . .)

وأما الشرك الذي لم يدخل بعدُ في الكفر فيستخدم معه العقل كما في قوله تعالى : (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم . أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) ، وقوله تعالى : (يا قوم لا أسألكم أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون)

وذلك كان قول هود (ع) لقومه فقالوا : (يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين)

وقوله تعالى : (أم اتخذوا من دونه شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون)

وذلك عدا الاستخدامات غير المباشرة والأمثال كمثل رجل فيه شركاء ومتشاكسون ورجلٍ سلّماً لرجلٍ ، وعبداً مملوكاً لا يقدر على شيء لا يستوي هو ومن يأمر بالعدل والإحسان . وتلك أمثلةٌ تخاطب العقل . وكقوله تعالى : (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) .

المحاور **: قد عرفت ذلك فما هي الصلة بين العقل والقلب ؟**

المؤلف **: إذا لم يكن القلب سليماً فلا نفع بالعقل . فالدافع على تعقّل الأشياء يأتي من القلب ، فإذا أصيب القلب اضطرب عمل العقل . فإذا تمكن المرض من القلب وران عليه الكفر استقرّ عمل العقل على مخالفة الله واجتهد في محاربته وأظهر العقل قدرته بهذا الطريق .**

المحاور **: ما الدليل على أن العقل يعمل بأمر القلب ؟**

المؤلف **: الدليل عليه قوله تعالى : (أم لهم قلوبٌ يعقلون بها) .**

المحاور **: ألا يدلّ هذا على أن القلب لا يقصد به القرآن العضو المعروف ، بل شيئاً معنوياً كالعقل بالنسبة للدماغ ؟**

المؤلف : كلاّ .. إن القلب في القرآن يقصد به العضو المعروف لأن الشيء المعنوي الذي يخص القلب هو الفؤاد .

المحاور : كيف ؟ وما هو الدليل ؟

المؤلف : هناك دليلان لذلك .. أولهما إن الفؤاد وضع مع الحواس في القرآن ولم يوضع مع الأعضاء في قوله تعالى : (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) وتلك حواس لأن السمع حاسة والأذن عضو لقوله تعالى : (أم لهم آذان يسمعون بها) . والدليل الآخر على أن القلب هو العضو المعروف قوله تعالى : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) . فتحديد المكان أنه في الصدور دليلٌ على أنه العضو المعروف .

المحاور : لقد قلت أن الأذن عضو والسمع حاسة لقوله تعالى : (أم لهم آذان يسمعون بها) .. فلماذا لا يكون القلب عضو والعقل حاسة أيضاً لقوله تعالى : (أم لهم آذان يسمعون بها) .

المؤلف : هو كذلك وكما تقول .

المحاور : في هذه الحال أصبح للقلب حاستين العقل والفؤاد .

المؤلف : نعم . لأن عملية التعقل تنشأ بالتصور . واستقرار الصورة أو الفكرة المتصورة هو من واجبات الفؤاد . فقد يجتهد العقل بتصور أمر ما ولكن لا تستقرّ الصورة ولا تثبت فيظل الفؤاد فارغاً من الصورة إذا كان الأمر فوق احتمال العقل . فإذا ألحّ القلب على العقل بشدّة تمكّن تثبيت الفؤاد لتستقرّ الصورة .

المحاور : هذا إذن معنى قوله تعالى : (وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً) .

المؤلف: نعم .. (إن كادت لتبدي بها لولا أن ربطنا على قلبها) لأن إلقاء وليدها في اليمّ هو شيء فوق احتمال العقل لتعقّل هذه الصورة فربط على القلب لتثبيتها في الفؤاد .

المحاور : وقوله تعالى : (ما كذّب الفؤاد ما رأى) ؟

المؤلف : تمام الآية هو : (وكلاًّ نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك) .

المحاور : الفؤاد الذي تمكّن من استلام صورٍ لآيات ربّه الكبرى يحتاج إلى تثبيت بأزاء عنادهم وعتوهم فكم كان عتوّهم ؟ .

المؤلف : تخيل أنت ليثبت فؤادك ! .

المحاور : كيف تعرّف الفؤاد لو سألك أحد أن تعرّفه ؟

المؤلف : إنه ألواح الذاكرة التي تنطبع عليها الصور الواضحة ، إنه يرتجف ويتحرك ولا يثبت حتى تكون الصورة واضحة بالحد الأدنى المحسوب ، إنه يعمل كلوح ذاتي الحركة (أوتوماتيك) .

المحاور : ما الفرق بينه وبين الذاكرة ؟

المؤلف : **الذاكرة هي المخزن العام لجميع الصور المعقولة وغير المعقولة والصحيحة والخاطئة وهي أرشيف العقل . والفؤاد هو مستودع خاص لكنه يعمل إضافةً لذلك على تثبيت الصور بما في ذلك الداخلة في مخزن الذاكرة . ألا ترى الإنسان إذا لم تتضح له صورة حدثٍ ما ولم يهتم به مطلقاً فإنّه سرعان ما ينساه .**

المحاور : **هل يعني ذلك أن الكافر ليس له فؤاد .**

المؤلف : **له فؤادٌ ولكنه لم ينتفع به ، فهو يرتجف أمام الصور الحقيقية للمعقولات لأن القلب لا يأذن للعقل بتعقلها وتوضيحها .**

المحاور : **ولكن في هذه الحال يضطرب عمل الذاكرة عموماً ! .**

المؤلف : **هذا ليس اعتراضاً ، بل تأكيدٌ على صحّة ما ذكرناه ، إذ لأجل ذلك ورد التذكر واشتقاقاته في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة بصيغٍ مختلفةٍ ، وهو رقمٌ كبيرٌ جداً قياساً بموارد الفؤاد التي هي ستة عشر مورداً . ومن تلك الصيغ (أفلا تذكرون) ، لعلكم تذكّرون) ، (واذكروا) ، (اذكروني) ، (ذكرى) ، (للذاكرين) ، (ذكراهم) ، (الذكر) ، (التذكرة) ... الخ .**

المحاور : **هذا صحيح .. فماذا تسمي الأفعال المتقنة لعمل الأشرار من الكفار ؟ .**

المؤلف : **لا تسمى عملاً عقلانياً ، لأنها بخلاف الأسلوب الذي صمّم الله تعالى به عمل العقل ، بل تسمى مكراً وكيداً قال تعالى : (وكروا مكراً ومكرنا مكراً فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) ، وقال : (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) ، وقال : (ويكيدون كيدا وأكيد كيداً) .**

المحاور : **وهل في العقل تلك المرونة ليعمل بخلاف تصميمه الأول وغايته التي من أجلها خُلق ؟ .**

المؤلف : **نعم .. إن مثله في علاقته بالقلب مثل الحاسوب وعلاقته بالذي يشغّله ، إن شاء استخدمه في الخير وإن شاء في الشر .**

المحاور : **إذن فالمشرك الذي لم يكفر بعد مثله مثل رجلٍ جاهلٍ استخدم هذا الحاسوب بطريقة خاطئة وهو يظنّ أنه يعمل به كما أوصى الصانع .**

المؤلف : **نعم .. فيكون مسؤولاً لأنه عهد إليه ألاّ يعمل به إلاّ كما أوصاه ، فظنّه في غير محله لأنه ليس ظنّ الخاطئ أو الناسي أو الساهي . لأن الاتفاق جرى على أن لا يخرّبه وأن يحرص عليه كلّ الحرص ، إذ فيه كل ما يحتاج إليه . فإذا عمل عليه متبعاً رجلاً آخر أو متبعاً هواه فكأنما جعل طاعته لغير الصانع فلا يغفر**

له ذلك لأن ما أهمل فيه هو عينه قائمة حسابه فإذا غفر الشرك ترك الحساب .

المحاور **: ما أحسن هذا الربط ! إذن فالمؤمنون يحاسبون على هذا الشرك ، لأنه إن غفر لهم الشرك كان ما دونه مغفوراً حتماً فيدخلون الجنة بغير حساب . والكفار هم أهل النار سلفاً لأنهم لا يؤمنون فلا يبقى موضوع للحساب .**

المؤلف **: نعم .. وقد أحسنت .**

المحاور **: على هذا التفسير والفهم يكون الشرك موجوداً الآن بيننا وبكثرة .**

المؤلف **: نعم .. والكفر ! .**

المحاور **: أخبرني عن الناس في عهد النبي (ص) كانوا مشركين أم كفّاراً قبل مبعثه ؟ .**

المؤلف **: كان أكثرهم في الظاهر على الشرك الصريح ، فلما بعث (ص) آمنت طوائف وتحوّل الباقون إلى كفّار وهم أكثر قومه وبقي هو هذا الحال إلى أن قبض صلوات الله تعالى عليه .**

المحاور **: كيف ؟ لقد قيل أن الناس كلهم دخلوا دين الله وخاصةً بعد فتح مكة وارتدت طوائف بعدما قبض (ص) أو خلال حياته فقاتلهم المؤمنون فرجعوا إلى الدين تباعاً .**

المؤلف **: هذا كلام !! .**

المحاور **: ماذا تعني بقولك هذا كلام ؟ .**

المؤلف **: إنه كلامٌ يقال مقابل كلام الله . للناس كلام ولله كلام وكلام الله غير كلام الناس .**

المحاور **: ما هو كلام الله للناس بشأن قوم النبي (ص) تحديداً لا عموماً ؟ .**

المؤلف **: كلام الله هو : (يس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين على صراطٍ مستقيم لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) . هذا هو حالهم لحظة المبعث ، لأنه يحدد الغاية من إرساله .**

المحاور **: وما حالهم بعد المبعث وفق كلام الله ؟**

المؤلف **: (لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . أنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) . فإن الله يخبرنا مرتين في أوائل هذه السورة فقط أن أكثرهم لا يؤمنون . فقول من قال (دخلوا الدين جميعاً) قد يراد به أنهم دخلوه**

ظاهراً ، أما في الحقيقة فإن أكثرهم تحوّلوا من الشرك إلى الكفر .

المحاور **: كيف حدث التحوّل ولماذا ؟ .**

المؤلف **: لو رجعت إلى المثل الأول لعرفت السبب . فالرجل الذي يعبث بالحاسوب لو جاءه رسولٌ من الصانع يأمره ويذكّره بالاتفاق وتنفيذه ، ومعه ختمٌ وكتابٌ ودلائل وعلامات ومزيد عطاء وغنى ، وبرهن له أن ما يقوم به هو العبث والتخريب ، فأعرض واستمرّ في عبثه . فهل يضعه الصانع بعد ذلك في خانة (الغافلين) أم في خانة (الذين حقّ عليهم القول) ؟ .**

المحاور **: نعم .. في خانة من حقّ عليه القول ، لكن هذا مخالف لما رأيناه من قبل من بقاء الشرك ، فقد أصبحت النتيجة هنا أنه لا شرك بعد إرسال الرسل ، بل الكفر وحسب لأن الرسول (ص) في مبعثه ودلائله قد محّص قلوبهم ونواياهم فلم يبق أحدٌ ما غافلاً .**

المؤلف **: نعم .. سأوضح لك الأمر بطريقةٍ تجمع شتاته وتتضمّن عناصره : إن كلّ معصية لله تعالى هي شرك ، فإن كانت صادرة من العقل دون القلب فهي شرك وحسب وإن كانت صادرة من القلب والعقل معاً فهي كفر . فالذي كان يعبد صنماً ضالاً كان في الظاهر مشركاً فإذا أنذره النذير (ص) وأتمّ حجتّه عليه .. فإن انقاد له ولقوله فقد أسلم وآمن وإن أعرض فقد كفر . فإذا افترضنا أنه آمن فإنه إن كان آمن ظاهراً وباطناً ، فقد دلّ ذلك على سلامة قلبه فطهر من شرك الاعتقاد ، وبقي أن يطهّر من شرك العمل ، فإنه يظل (يشرك في عبادة ربّه أحدا) وإن كان صادقاً أن لا إله إلاّ الله ولا يشرك بالله ما لم ينزّل به سلطاناً . فالشرك بالله هو غير الشرك بعبادة الرب .**

المحاور **: لله درّك ! .. لقد بدأت أتلقف الأشياء وأحسُّ بها . فأين تلك الآية من القرآن ؟ .**

المؤلف **: إنها آخر آيةٍ من سورة الكهف .. من قرأها قبل النوم استيقظ ساعة يشاء وهي قوله تعالى : (قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحدا) . ففي الاعتقاد أنه إله واحد وفي العمل (لا يشرك بعبادة ربّه) ولم يقل يشرك بالله لأنه ذكره بقوله (إله واحد) ، ألا تراه قد قرن شرك العبادة بالعمل فليعمل (عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ؟.**

المحاور : **ففي هذه الحال يكون المؤمن مؤمناً موحداً لكنه يشرك في عبادة ربه أحدا .**

المؤلف : **نعم .. ألم أقل لك ذلك من قبل ؟ أنت ترى أننا اتفقنا ، فشرك الألوهية هو غير شرك الربوبية .**

المحاور : **فيكون شرك الألوهية في هذه الحال كلّه كفرٌ ! .**

المؤلف : **نعم .. ذلك هو الحق لاستحالة تحقّق شرك الألوهية إلاّ من القلب .**

المحاور : **قد أسألك عن التفسير الفلسفي لذلك فيما بعد ، لكن الآن أسألك كيف تفرّق بين هذين الشركين في القرآن ؟ .**

المؤلف : **سأذكر لك الآيات التي تدلّ على الأمرين معاً : كونه على الظاهر شركٌ وكونه عند الله هو الكفرٌ متحققاً في نفس الآية :**

الأولى : قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح عيسى بن مريم) . لأنهم إن أرادوا الدفاع قالوا : بل هو الشرك فعاقبْنا عليه ثمّ أدخلْنا الجنة .. فقضى تعالى أنه كفر .

والثانية : قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) . ففي الآيتين جاء بلفظ الجلالة وظاهره شرك وحقيقته كفر وأكّده بحرف التحقيق (لقد) للدلالة على أنه حاصلٌ .

والآية الثالثة : وهي تكملة الآية الأولى قوله تعالى : (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة) . فتحريم الجنة دليل على الكفر . لأن الشرك يعذّب ويعاقب عليه ولا بدّ من انتهاء العقاب لأن القلب لم يشرك والعقل يرتدع بالعقاب ، لكن أبدية تحريم الجنة دليل على أنه كفر أي شرك الاعتقاد أي شرك القلب المقصود وليس من قصور أو تقصير العقل . فجاء هنا بلفظ الجلالة .

والآية الرابعة : قوله تعالى : (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكانٍ سحيق) فالوصف دليلٌ على أنه نزولٌ إلى الهاوية فهي جزء من جهنم لا مجرّد عذاب في النار .

المحاور : **ما أجمل ذلك وما أروعه !! يخيل إلي أني أستطيع الآن أن أفهم بعض الخطابات القرآنية للمؤمنين وحتى للأنبياء التي تتضمن التحذير من الشرك .**

المؤلف : **نعم .. فقوله تعالى لرسوله (ص) (لئن أشركت ليحبطنّ عملك) محالٌ عليه (ص) أن يشرك بالله بعد الهدى الذي هداه - كيف وهو يهدي إلى صراط مستقيم - إنما هو أي**

فعل صغير شرك فيه نزعة من نوازعه الإنسانية كهاجس رحمة على رجلٍ منافق أو هاجس راحةٍ في موضع جهاد أو لين في موضع شدّة ، فهو أمرٌ مقترنٌ بالعمل (لئن أشركت ليحبطن عملك) .

المحاور **: الله أكبر . هذا يثبت عصمته من كل صغير وكبير ، إذ لم يقل له (لئن أشركت بالله) .**

المؤلف **: نعم .. هذا صحيح جداً لأننا نعلم أنه لم يحبط له عمل ، وإذن فلم يشرك شرك عمل قط وهو ألاّ يقدم عليه كل مؤمن عداه ومن عصمه الله تعالى . وقد افتخر الإمام علي بن الحسين (ع) بعد أسره في خطابٍ له على رؤوس قتلة أبيه الحسين (ع) قال فيه : (أنا ابن من بايع البيعتين وهاجر الهجرتين .. إلى قوله ولم يشرك بالله طرفة عين) يريد هذا المعنى لا سواه لأنه هو الذي علّم الناس التوحيد .**

المحاور **: لكن الإمام هنا خالف اللفظ القرآني أو القاعدة التي تتحدث عنها باستخدام لفظ الجلالة وقد أخبرتني أنك اكتشفت أن كلام أهل البيت (ع) يسير على منهج اللفظ القرآني الذي نحن بصدده وإنك عرفت ذلك بشكل منفرد بغير ما تأثرٍ بأي تأثيرٍ مذهبي وإن ذلك أحد الأسباب التي دعتك للإيمان بعصمتهم .**

المؤلف **: إن كلام الإمام (ع) هنا يطابق القاعدة تماماً لأن قوله (طرفة عين) لا يريد به حجم الشرك ، بل نوعه فلا بدّ أن يأتي إذن بلفظ الجلالة .**

المحاور **: حبذا لو زدتني إيضاحاً .**

المؤلف **: طرفة العين هي عمل لكنه من النوع اللاإرادي فلما نفى أن تكون الخلجة تلك وهي لا إرادية مشوبةً بشرك ، فكأنما نفى كل عمل إرادي وغيره أن يكون مشوباً بالشرك ، لأنه لو قال : (لم يشرك طرفة عين) لكان كلامه مبهماً .. يشرك من بمن ؟ . ولو قال (بربّه) لأحدث الالتباس لتعدّد الأرباب من دون الله ، فاحتمل بلاغياً أن يكون له رب آخر ولكانت العبارة خاطئة من جهة اقتران العمل اللاإرادي بصفة الربوبية ذات العلاقة بالعمل الإرادي . فكانت تلك العبارة هي الوحيدة التي تجمع نفي الشرك بكافة أقسامه بنفي أدنى جزء منه ممكن تصوّره وأدنى جزء هو اللاإرادي وما كان خلجةً منه ، وأدنى جزء من العمل ما كان لا إرادياً ، وأدنى جزء من ذلك اللاإرادي ما كان خلجةً ، وأدنى جزء من الخلجات ما كان ضرورةً من ضرورات الخلق مثل نبض القلب والتنفس ، وأدنى جزء من ذلك ما كان قصير الأمد خافياً وهو طرفة العين . وكل ذلك متّصل بالخلق والخلق مقترن في**

كتاب الله بلفظ الجلالة (والله خلقكم من تراب) ، خلق الله السموات والأرض بالحق) ، (والله خلقكم في بطون أمهاتكم) ، (هذا خلق الله) ، (تبارك الله أحسن الخالقين) . بل يأتي لفظ الجلالة مع وجود لفظ (الرب) إذا كان الموضوع عن الخلق (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) .

المحاور : إني أشعر أن هذا بمفرده يصحّ أن يكون موضوعاً مستقلاً .

المؤلف : نعم .. ولكن من هذا الذي يجمع شتاته ويضح مسالكه ؟ .

المحاور : وأشعر كذلك أن كتاب الله لم يدرس للآن دراسةً تليق بمقامه !

المؤلف : (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) .

المحاور : هذه الآية عند المفسرين شكاية من الرسول (ص) في زمانه على قريش أول المبعث .. وأنت تدفعني للاعتقاد أنها شكاية مستمرة .

المؤلف : كذبوا وربّ البيت .. إنها شكاية مستمرة تدعمها آيات وآيات في كتاب الله وأحاديث نبوية كثيرة وواقعٌ مرئيٌّ عياناً .. استمرارك في محاورتي سيثبت ذلك بأدلةٍ قاطعةٍ إن شاء الله .

المحاور : لو اعترضت عليك بأول ما أحفظه من سورة الأعلى (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى) جاء بلفظ الرب والموضوع عن الخلق بماذا تجيب ؟

المؤلف : قوله (ربك الأعلى) يساوي لفظ الجلالة لو بُحِثَ عن اسمه لأن الأعلى هي أكبر صيغةٍ للتفضيل . ولو قال (العالي) لأمكن الاعتراض . والصيغ ثلاث (عالي ، أعلى ، الأعلى) ، فلما جاء بأكبرها فكأنه قال الرب الذي لا أعلى منه وهو الله تعالى . وإنّما كفر فرعون بقوله (أنا ربّكم الأعلى) ولو قال (ربكم العالي) لكان شركاً لا كفراً .

المحاور : ما الدليل على كفره ؟ وكيف صار (ربكم الأعلى) دالاً على الله ؟ .

المؤلف : **الدليل على كفره هو أن قوله لموسى (ع) (لئن اتخذت إلهاً غيري) مساوقٌ لقوله (أنا ربّكم الأعلى) لأنه يريد هذا المعنى دوماً : شرك ألوهية لا شرك ربوبية .**

المحاور : **ما معنى قولك (لو بُحِثَ عن اسمه) ؟**

المؤلف : **لأنه يقول : (سبح اسم ربّك الأعلى) كأنه يدعوك للبحث عن اسمه . فقول نوح (ع) : (بسم الله مجراها) عوّض لفظ الجلالة عن باقي الأسماء والصفات .**

المحاور : **لو سألتك لماذا هذه الصيغة بالذات في هذه السورة ؟**

المؤلف : **لأن استعراض الأفعال من الخلق والتقدير والتربية شاملة لأنحاء الربوبية وما يتصل بهذه الصفة ، وابتدائها بالخلق يستوجب ذكر لفظ الجلالة فاستعيض عنه باسم عجيب (ربك الأعلى) الذي يمكن إدراج كل الأفعال تحته ابتداءاً من الخلق لكونه الأعلى وانتهاءاً بإخراج المرعى لكونه الرب .**

المحاور : **عندي اعتراض شديد سأذكره الآن لكنني أعتقد أنه سيكون محرجاً لك .**

المؤلف : **الاعتراض المحرج عليه جواب محرج أيضاً .**

المحاور : **هذا إنصافٌ منك ! الاعتراض هو قوله تعالى : (قل سبحان ربّي هل كنت إلاّ بشراً رسولا) . لماذا اكتفى بقوله (ربي) مع ارتباطه بالتسبيح الذي لا يجوز لغير الله تعالى ؟**

المؤلف : **لأن كل مربوب غير الله هو دون رسول الله (ص) فيستحيل أن يتوهم رسول الله (ص) الربوبية في أحدٍ غير الله ، إذ كيف يتخذ رباً دونه في القدر ؟ . والخطاب هنا له وحده وغير مشمول بـ (إياك أعني واسمعي يا جارة) فربّ النبي (ص) هو الله تعالى .**

المحاور : **سبحان الله ما أجمل ذلك .. !! من لفظ ليس له علاقة بموضوع الأفضلية يمكن الاستنتاج أنه (ص) هو فعلاً سيد الكائنات . إن الطريقة التي تستخدمها في اقتران الألفاظ تكشف أسراراً لا حدود لها .. لقد بدأت الآن أتفهم معنى حديثك عن لا نهائية الاحتمالات المتكونة من اقتران الألفاظ . فبهذه الطريقة فقط يمكن التحقق من كون القرآن هو تفصيلٌ لكلّ شيء أو تبياناً لكلّ شيء .**

المؤلف : **إن ما تقوله صحيح بإذن الله جزاك الله خيراً .**

المحاور : **فأذن لي أن استمرّ في هذا التدبر مؤجلين موضوعنا الأساسي بعض الشيء إن لم يضرك ذلك .**

المؤلف **: كما تشاء !**

المحاور **: أخبرني عنى صفة الأعلى : أهي صفة لـ (ربك) أم صفة للاسم (اسم ربك) ؟ هل يتمكن المنهج من إرجاع عائدية الصفة بدقّة ؟**

المؤلف **: في هذا الموضع صفة لـ (ربك) ، واسم ربك الموصوف بالأعلى هو لفظ الجلالة والمعنى أن تقول سبحان الله أو سبحان ربي الأعلى سواء ، ولكنها قد تعود إلى الاسم في موضع آخر مثل (فسبح باسم ربّك العظيم) .**

المحاور **: عرفتُ عائدية الأعلى إلى ربك فلماذا تعود صفة العظيم هنا إلى اسم ربك ؟**

المؤلف **: لأنه قال هناك سبح الاسم الذي هو لربك الأعلى ، وقال هنا ما معناه سبّح بهذا الاسم العائد لربّك والذي صفته أنه اسمٌ عظيمٌ . فدخول الباء فرّق بين الأمرين ، لأنه جاء بصيغة التفضيل الثانية (العظيم) وليس الأعظم . ومعلوم أنه يمكن تجوزاًَ أن يطلق الربّ العظيم على غيره ولكن محال أن يكون هناك اسمٌ عظيمٌ لربٍّ غيره .**

المحاور **: سبحان الله ما أبلغ كلام الله وما أعلاه .. فلماذا كانت الاستحالة لوجود اسم عظيم لرب غيره ؟ .**

المؤلف **: لأن الاسم نفسه صفة جامعة للصفات . ألا ترى الناس يسمون الأشياء بمجموع صفاتها وأدومها وأظهرها .. وكل ربٍّ عظيمٍ غيره يموت ويهلك فيذهب الاسم هباءاً ، وصاحب الاسم العظيم في الربوبية معناه الباقي في الربوبية والدائم على هذه الصفة وعلى هذا الاسم وليس أحد سواه بهذا الاسم ، فصار العظيم يعود على الاسم عند دخول الباء .. وأدى إلى لفظ الجلالة ولو مع خفض صيغة التفضيل من الأعظم إلى العظيم .**

المحاور **: ما أجمل هذا وما أحسنه . فلماذا استخدم الأعلى في سورة الأعلى والعظيم في سورة الواقعة إذا كان التركيب الكامل لكلٍ من العبارتين يؤدي إلى لفظ الجلالة ؟ .**

المؤلف **: لو رأيت آلةً ضخمةً جداً ذات قوّة هائلةٍ فتقول هذه آلةٌ عظيمةٌ . ولو رأيت آلةً صغيرةً صنعت بدقّةٍ عجيبةٍ وتؤدي أغراضاً لطيفةً لقلت هذه آلة عالية أي عالية الجودة في دقة الصنع . فكذلك الفرق بين صفة العظيم التي تعني القوة والقدرة وصفة الأعلى التي تعني حسن السيطرة ودقة المعرفة بالخفايا . وقد وردت كلا الصفتين في كلّ سورة بما يلائم موضوع السورة ، فكانت صفة الأعلى للحديث عن اللطف في التقدير والهداية (قدّر فهدى) ومعرفة الخفايا (سنقرئك فلا تنسى إنه يعلم الجهر**

وما يخفى) .. الى آخره . وكانت صفة العظيم في الواقعة لإظهار القوة والقدرة في إنشاء الأشياء الأربعة المذكورة في السورة : الخلق (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) ، والزرع (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) ، والماء (أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ، والنار (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) . والجواب في كل ذلك : لم تفعلوا ذلك أنتم وليس لكم عليه قوّة ولا قدرة ، إنما فعله ربّك العظيم فسبح باسم ربّك العظيم والمتصف بتلك الصفة من القوة والقدرة .

المحاور **: لو أذنت لي بالعودة إلى آية (قل سبحان ربي) هل ارتبط التسبيح بلفظ الرب في أقوال أنبياء ورسل آخرين هكذا مجرداً من أية صفةٍ ؟**

المؤلف **: محال أن يحدث ذلك . وأجزم لك بعدم وجود شيء من ذلك برغم كثرة موارد الرب فهي أكثر من أربعمائة آية . وأَعلم ما ترمي إليه .. ألا فاعلم إن صرامة اللفظ القرآني هي أكبر من قدرة جميع العقول على استيعابها والإحاطة بها .**

المحاور **: هذا ما استهواني بالضبط وإني أريد أن أفهم ولو إجمالاً إلى أي حدٍّ تبلغ تلك الدقة والصرامة في خطوط النظام القرآني ؟**

المؤلف **: إن حدودها هي حدود السموات والأرض ولطفها لطف الجزء الذي لا يتجزأ إن كان ثمة جزء لا يتجزأ .**

المحاور **: إن السماع شيء والنظر شيء آخر وأنا أريد أن أرى ليطمئن قلبي .**

المؤلف **: إن ما أعرفه كنسبة القطرة إلى المحيطات ! .**

المحاور **: كيف ذلك ؟ فقد قلت إنك درست خمسة عشر لفظاً من أصل خمسة عشر ألف أصل لغوي فالنسبة واحد إلى الألف لا قطرة إلى المحيط .**

المؤلف **: لو قلت لك ضاعف العدد واحد ثلاثين مرة هكذا (٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ..) فإن المجموع هو بضعة مليارات . ولو قلت لك ضاعفه خمس مرات فإن المجموع دون المائة ، فلا يقولن أحد أن نسبة المجموع كنسبة الخمسة إلى الثلاثين لأن التضاعف خمس مرات دون المائة والتضاعف ثلاثين مرة عدة مليارات مع إن الثلاثين أكبر من الخمسة بست مرات فقط .**

المحاور **: ما معنى ذلك ؟**

المؤلف **: إن التحرك مع لفظ قرآني وملاحظة اقتراناته بغيره من الألفاظ تتكون منه نتائج كمتوالية هندسية لا عددية . يكفي أن يتكرر اللفظ ثلاثين مرة ويقترن من الجانبين بعشرة ألفاظ**

والعشرة تتغير فينتج بضعة آلاف من المعلومات . فلاحظ الاحتمالات المتكونة من اقترانات خمسة عشر ألف مادة بعضها بصيغ مختلفة ، ولاحظ اقتران العدد الكلي للمفردات لأن عددها أكبر وهي بحدود اثنين وسبعين ألف لفظة .

المحاور : **لقد فهمت المراد وأعود إلى الموضوع . إن العبادة لا تجوز لغير الله تعالى بناءاً على الآية التي درسناها (ولا يشرك بعبادة ربّه أحدا) ، وهذه واضحة لأنها تكملة لذكر الإله الواحد .. لكن على ما أذكر أن الأنبياء (ع) قالوا لقومهم عبارات مثل (اعبدوا ربّكم) من غير صفةٍ فكيف ذلك ؟**

المؤلف : **إن ما تذكره مجرّد وهم ولا توجد عبارات من هذا النوع . إذا وردت العبارة هذه فلا بدّ من لفظ الجلالة حتى مع لفظ الربّ أو ما ينوب عنه ويؤدي الغرض . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) ، (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيم) ، (إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيم) . وحينما لا يوجد لفظ الجلالة يعطي للرب صفةً متحدةً مع لفظ الجلالة بقانون صارم مثل : (يا أيها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم) . وقد بيّنت لك في ما سبق صرامة اقتران اللفظ لأن موضوعه العبادة . وحينما لا موضوع للخلق والحديث عن العبادة يأتي بالألوهية مثل (ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلاّ هو فأنّى تصرفون) ، (ذلكم الله ربكم له الملك) ، (لا إله إلاّ هو يحي ويميت ربّكم وربّ آبائكم الأولين) ، (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض) .**

المحاور : **استغفر الله ولا إله إلاّ الله .. قل بربّك .. أهكذا كلّ لفظٍ في القرآن لا يقترن بغيره إلاّ بقانونه الخاص ؟ .**

المؤلف : **أي والله .. حتى أن الآية القصيرة الواحدة تمرّ عليك ثلاث مرات أو أزيد فينبثق منها في كلّ مرةٍ نورٌ جديدٌ للحقيقة ، وإذا تتبعت منها ثلاثة ألفاظٍ وجمعتها سويةً تجمّعت الأنوار على نقطةٍ واحدةٍ فأظهرتها ظهوراً بيناً .**

المحاور : **أعود إلى اعتراض آخر . فقد ذكرنا أن الكفر يؤدي إلى اضطراب عمل العقل ، فالذين كفروا لا يعقلون .. فلماذا (وأكثرهم) في قوله تعالى : (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) ؟ هل هناك كافر يعقل ؟ .**

المؤلف : **بالطبع لا يجوز أن يكون الكافر عاقلاً وفق ما رأيناه من تصور سابق والمفتري للكذب مضطرب العقل قطعاً فهم جميعاً لا يعقلون .**

المحاور : **فأين ذهبتَ بمفردة (وأكثرهم) ؟**

المؤلف : إن لفظة (أكثرهم) هنا لا علاقة لها بالذين كفروا ، فهذا المقطع يتحدّث عن قواعد سار عليها المشركون بشأن الأنعام إذ جعلوا منها أنواعاً محرمةً .. فالذين ابتدعوا ذلك هم الذين كفروا والذين أكثرهم لا يعقلون هم المجموعة المؤمنة بهذا التحريم بكاملها .. ومعلوم أن بعضها يعقل على نحو ما لأنه لا زال يبحث عن حقيقة هذا التحريم .

المحاور : أتقول أن عائدية الضمير في أكثرهم لا ترجع إلى الذين كفروا ؟

المؤلف : نعم ..

المحاور : فأنت تهدّم إذن اللغة والتفاسير كلها ! .

المؤلف : نظام القرآن هو الذي يهدّم كل ذلك ، وأما اللغة فهو يستعملها بالطريقة المثلى ولا يهدمها .

المحاور : وهل معنى ذلك أن الضمائر في كلّ القرآن لا ترجع إلاّ بحسب نظامٍ محدّد مخالف للمتبادر ولا علاقة له بما نراه ظاهرياً أم أن هذا الأمر في هذه الآية وحدها ؟

المؤلف : الضمائر في القرآن كلّها على هذا النحو .

المحاور : على ذلك فإن القارئ لا يفهم شيئاً بلا تحقيق وتدقيق وبحث ، بل ربّما يفهم بخلاف المطلوب .

المؤلف : هو كذلك .. لا فائدة من قراءته بلا تدبّر وقد قال أهله سلام الله عليهم في قراءته : (ولا خير في قراءةٍ بغير تدبّرٍ) . وقال الله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها) .

المحاور : الموضوع ليس هنا ! فأنت قد غيّرت معنى التدبّر نفسه .. وقد ذهبت أتعاب المفسرين والذين أعربوا القرآن هدراً ! لأن معنى كلامك أن ما فعلوه ليس تدبراً .

المؤلف : إن ما فعلوه ما هو إلاّ شرحٌ للآيات مثلما شرحوا المعلقات ومثلما شرحوا ديوان المتنبي لا فرق بين طريقتهم في ذلك وطريقتهم في شرح القرآن .

المحاور : ما معنى ذلك ؟ .. زدني إيضاحاً ! .

المؤلف : معناه أن نظام القرآن نظامٌ خاصٌّ وهو نظامٌ محكمٌ يحتاج إلى كشف أو كما قلت إلى تحقيق وتدقيق وليس إلى شرح .. لأنه بهذا الظاهر لا يحتاج إلى شرح فهو واضح وأوضح من نفس شروحهم ، وهذا النظام مخالف لكلّ كلام آخر ومختلف عنه . ألا ترى إلى النبي (ص) كيف يفصل بين كلام الله وكلام الخلق بقوله (فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)

المحاور : **لقد صعقتني ! وأحتاج إلى وقتٍ لأستوعب الأمر أو أرفضه . لكني أقول ألا يسبب ذلك اضطراباً عاماً في فهم القرآن ؟ .**

المؤلف : **بل الاضطراب كله في الطريقة السابقة . الضمائر لا تعود جزافاً ولا كما يحلو للقارئ .. إنها تعود وفق نظام صارم ومحكم ودقيق .. ولا يمكن التلاعب به أو تحريفه إلاّ وفضح الفاعل نفسه ، والطريقة التي ساروا عليها هي التي أرجعوا فيها الضمائر بحسب المتبادر أو بحسب الهوى .**

المحاور : **أليس الكلام بهذه الخصائص يكون كلاماً صعباً جداً وفوق قدرة الناس أو أكثر الناس على فهم دقائقه وتفاصيله وهو بخلاف الغاية القرآنية من التعليم والهداية ؟ .**

المؤلف : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) إن هذه الطريقة أيسر وأسرع الطرق علاوةً على أنها الوحيدة الصحيحة .. فأنت ترى الآن أنك تكشف بها الأسرار والغوامض وتصحّح العقائد وتبطل أقوال المتحذلقين والمتفيقهين .. ومع ذلك فإنك لست بحاجةٍ مطلقاً إلى نحوٍ أو صرفٍ أو بلاغةٍ أو أية دراسةٍ سابقةٍ ! أو أدواتٍ مسبقةٍ ! .. لا تحتاج إلاّ إلى أن تعرف ، والأداة الوحيدة التي تحتاجها فعلاً هي (القلب) . لذلك قال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها) فلم يقل على العقول أو غير ذلك ، بل القراءة والكتابة نفسها عامل مساعد لا غير ، لأن القلب إذا وعى حفظ النص واستغنى عن القراءة والكتابة .. ألا ترى أن الذي أنزل عليه القرآن لم يمارس هذا العمل قط ، وليس ذلك إلاّ لأنه لا يحتاجه مطلقاً ولكم في رسول الله أسوةٌ حسنة .**

المحاور : **لنعد إل آية المائدة : فلو كان قد قال : (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وهم لا يعقلون) بدل وأكثرهم .. ألا تكون العبارة محكمة وصحيحة ويرجع الضمير رغماً عنا إلى الذين كفروا ؟**

المؤلف : **لو كانت العبارة كذلك لما تعرّف بعضنا على بعض ولما ظهر هذا المنهج . وهذه العبارة ليست محكمة ولا صحيحة ومخالفة لكل النظام القرآني لأن المفتري للكذب لا يعقل قطعاً فتكون التكملة زيادةً ويكون التركيب واهناً غاية الوهن .**

المحاور : **الآن أعلم الانسجام في هذا التخريج مع كل ما سبق .. ولكن لماذا يكون المؤمنون بحرمة هذه الأنعام جرياً على مقالة الذين كفروا لا يعقلون مع سلامة نواياهم ؟**

المؤلف : **لأنك لو أجريت حساباً لقطيع الأنعام مع هذا التحريم لوجدت القطيع يتناقص في العدد خلال الزمن ولا يتزايد كما يفترض عند القائمين بتربية الأنعام . وهذا الحساب عمل عقلي .. فيفهم العاقل فوراً أن هذا التحريم ليس مما أنزله الله بخلاف القانون الطبيعي .**

المحاور : **كيف هذا هو الحساب ؟**

المؤلف :**قال الله تعالى : (وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) . فعلى أحسن التعريفات للمفردات الأربعة المحرمة عندهم وعلى أحسن الاحتمالات فإن الحسابات الموضوعة لاستشراف عدد القطيع بعد سنوات عدّةٍ (وهي حسابات معقدة وتحتاج إلى أسس علمية) تشير إلى تلك الحقيقة المؤشرة إلى تناقص القطيع . و بناءاً على احتمالية التناوب في الأمر الخاص بالولادات فإن القطيع المؤلف من عشرين رأساً ينتج بعد خمس سنين في أسوأ الاحتمالات ثلاثة سائبة ، خمسة وصيلة ، ثلاثة بحيرة . وبعد عشر سنين مع التناوب في الاحتمالات الأسوأ : ثلاثة رؤوس سائبة ، خمسة وصيلة ، ستة بحيرة ، رأسان حام . فالمجموع خمسة وعشرين رأساً محرماً إذا كانت البحيرة بنت السائبة على بعض الروايات . وإذا كانت تحرم بعد نتاج خمسة بطون لا عشرة على رواية أقوى ارتفعت أعداد الرؤوس المحرمة إلى ثلاثة وثلاثين رأساً . وهذا الرقم مع حساب عدد الذبائح والهلاكات والأمراض والعقم والتردي وما أكل السبع والذئب وسواها يأكل الربح كله أو يؤدي إلى قلة القطيع في النتيجة النهائية بدلاً من زيادته . على أن تحريم رأس واحد (لحمه ولبنه) وتركه يعبث بالمزروعات كيف شاء هو عمل مناف للعقل فكيف بهذه الأعداد الكثيرة ؟**

المحاور : **لقد فهمت الأمر . فكأنك تقول إن الذين كفروا ابتدعوا هذه الفرية والذين آمنوا بها من غيرهم كانوا ضالين ومتبعين لهم بجهالة . فالفريق الأول عارف بالنتائج والفريق الثاني جاهل بها ، ومهمة القرآن هي توضيح الأمر للفريق الثاني لا للأول .**

المؤلف : **نعم هو كذلك .**

المحاور : **ولكني لا أفهم كيف يتخذ الفريق الأول سبيلاً يؤدي إلى خسارته مع معرفته بذلك وتكون الخسارة أحياناً مادية وفي نفس هذه الدنيا .**

المؤلف : **إن الأمر لكذلك وإن كان الخطأ الشائع بخلافه . فأنت تظنّ أن الكافر لا يقدّم أي تضحيات لمبادئه ! . أنت واهم فالكافر**

يضحّي بالدنيا وزينتها من أجل مبادئه كالمؤمن تماماً ، وهو مستعد لأن يموت في سبيل مبادئه ويقاتل أيضاً كما يقاتل المؤمن ، وهو مستعدّ أيضاً لأن يتخلّى عن المباهج إذا استولى على الحكم ليمثّل دور الزاهد المتقشّف ويفعل كل ما بوسعه أن يفعله .

المحاور : **هذا رأي غريب ! لمن يفعل ذلك ؟ ولماذا يترك الدنيا والآخرة معاً ؟**

المؤلف : **يفعل ذلك إخلاصاً وولاءاً لقادته وزعمائه ! .**

المحاور : **الكفار هم قيادة الشرك كما فهمت فهل لهم قيادة أعلى رتبة ؟**

المؤلف : **نعم .. إنهم زعماء الذين كفروا واسمهم في القرآن (الطاغوت) .**

المحاور : **ما الدليل على أقوالك هذه من كتاب الله ؟**

المؤلف : **قوله تعالى : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) .**

المحاور : **إذن فالكفار في خسارة من الجهتين .**

المؤلف : **نعم كما في قوله تعالى : (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلاّ خسارا) ، وقوله تعالى : (فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين)**

المحاور : **هل ارتبط الخلاص من الخسارة بالخلاص من الطاغوت ليتمّ الربط الدقيق كما ذكرت ؟ .**

المؤلف : **نعم الآية التي بعدها : (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشّر عباد) . فالذين شاءوا أن يعبدوا الطاغوت خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وخسروا الدنيا والآخرة (ألا ذلك هو الخسران المبين) .**

المحاور : **أشعر الآن بسريان هذا النظام في جميع الأجزاء كما ذكرت . ولكني أعود إل آية (وأكثرهم لا يعقلون) فقد قلت أن المفتري للكذب لا يعقل قطعاً فتكون التكملة زيادة ويكون التركيب واهناً .**

المؤلف : **نعم .. قد قلت ذلك .**

المحاور : **إن معنى هذا الكلام أن كل شرح للمفسرين والبلاغيين للمقاطع التي ذكروا أنها تحت عنوان (بيان) أو (بدل) أو (تفسير لما قبله) هو شرح مخالف للنظام القرآني .**

المؤلف : **إن النص القرآني يفرض المعنى فرضاً ، والتركيب الشارح لما قبله يتضمن أمراً جديداً . فإن كانت شروحهم للنص**

لا تُظهر فيه جديداً فهو وهم أو افتراءٌ لأن القرآن لا يشرح الأمر نفسه في النص الواحد مرتين بطريقتين مختلفتين وتكون النتيجة واحدة . فالكلام المضاف له معنىً مضاف لا تكرار لنفس المعنى ولا تكرار لناتج محتوم من المعنى .

المحاور : لقد فهمت الأمر .. وعلى ذلك فبعض الشروح يصحّ وأكثرها لا يصحّ . أليس كذلك ؟ .

المؤلف : نعم .. هو كذلك ، وما صحّ منها كان بمحض الصدفة لا نتيجة للتدبّر فضاع الصحيح مع السقيم .

انتهى ولله الحمد



سلسلة تطبيقات المنهج اللفظي

نظام القرآن الكريم
في رحلة الكشف وحوارية الكفروالإيمان

تأليــــف

عـألم سبيـط النيـلي

مراجعة وتقديم

فرقان مُحَمَّد تقي مهدي الوائلي